العلامة المحدث الحافظ محمد الكوندلوي وجهوده في خدمة السنة والدفاع عنها

الدكتور محمد يوسف حافظ أبو طلحة

عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، بالجامعة المحمدية منصورة، ماليغاؤن، الهند.

Email: mdyusuftalha@gmail.com

ملخص البحث

يتناول هذا البحث سيرة العلامة الحافظ محمد الكوندلوي (1315-1405هـ) مستجليًا إسهاماته الجليلة التي امتدت أكثر من نصف قرن في إحياء سنة خير البرية، ونشر أنوارها، والذود عن حياضها بقوة العلم والبرهان، معتمدا في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي. وتنبع أهمية البحث من المكانة العلمية السامية التي تبوأها الإمام الكوندلوي بين أقرانه من فحول المحدثين في القرن الرابع عشر الهجري. فقد شهدت له أعلام الزمان بالسبق في مضمار العلم والعرفان. وتكمن مشكلة البحث في نظم العقد من اللآلئ المتناثرة في ثنايا المقدّمات التي رُصِّعت بها مؤلفاته المطبوعة، وفي سطور المقالات المنشورات في الصحف الأردية الباكستانية. ويهدف البحث إلى إبراز مكانته وجهوده الجبارة في نشر السنة النبوية، والدفاع عنها في عصرٍ اجتاحت فيه عواصف الفتن بالعالم الإسلامي عامة، وبشبه القارة الهندية خاصة. وقد أسفر البحث عن جملة من النتائج المهمة، وتتلخص في أن الكوندلوي كان محدثا جليلا، وعالما متفننا متضلعا من العلوم النقلية والعقلية، وقد حمل راية السنة أكثر من ستة عقود تدريسًا وتأليفًا، وتصدى لمن تعرض لها بسوء من المبتدعة ومنكري السنة بقوة البرهان، ودرَّس صحيح البخاري كاملا أكثر من خمسين مرة، وربّى جيلا من العلماء الذين حملوا راية السنة معه وبعده في مختلف الميادين، وأثرى المكتبة الإسلامية بنفائس المؤلفات التي تربو على عشرين مؤلفا، فكانت – ولا تزال – منهلًا عذبًا يرتوي منه طلاب العلم. ويوصي البحث بضرورة مواصلة الجهود في تحقيق تراثه العلمي وتعريبه، وإعداد دراسات أكاديمية تتناول جهوده في خدمة السنة وآراءه في علوم الحديث ومناهج المحدثين، وكذلك دراسة آرائه الأصولية دراسة مستفيضة.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية، المحدثون، أهل الحديث، شبه القارة الهندية، الجوندلوي، الغوندلوي.

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد:

فإن علماء شبه القارة الهندية حملوا راية السنة في وقت ضعفت العناية بها في البلدان الإسلامية الأخرى، وقد صدق العلامة رشيد رضا المصري حين قال: "ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة، حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر". اهـ. [388]

ومن هؤلاء الأعلام البارزين الذين حملوا راية السنة في القرن الرابع عشر الهجري العلامة المحدث الحافظ محمد الكوندلوي، فقد اهتم بالتدريس لاسيما كتب الحديث أكثر من ستين سنة، فدرس الكتب الستة والموطأ في فترات مختلفة في عشر مؤسسات تعليمية متباعدة الأطراف الواقعة في بنجاب ودلهي ومدراس والمدينة النبوية، وعني بتدريس صحيح البخاري عناية فائقة، فدرَّسه كاملا أكثر من خمسين مرة، وكانت حلقته في مراكز البنجاب أكبر الحلقات العلمية على مستوى القارة الهندية آنذاك، بل وُصفتْ بأنها أكبر حلقة بعد حلقة المحدث السيد نذير حسين الدهلوي؛ فتربى على يديه جيل حملوا راية السنة في شتى الميادين، وما أكثرهم في الديار الباكستانية! كما ألف مؤلفات قيمة نافعة تجاوزت عشرين كتابًا باللغتين العربية والأردية، منها كتابه القيم في الرد على منكري السنة، المسمى بـ(دوامِ حديث) في مجلدين ضخمين.

فمن حقه علينا أن نسعى في إبراز سيرته وجهوده وفق منهج علمي تأسيا بالعلماء الذين ألفوا في التراجم، ومن ثم أحببت أن أقوم بكتابة بحث بعنوان:"العلامة المحدث الحافظ محمد الكوندلوي وجهوده في خدمة السنة والدفاع عنها".

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إبراز مكانة المحدث الكوندلوي وجهوده التي بذلها في نشر السنة والدفاع عنها في فترة شهدت تحديات فكرية وعقدية جسيمة في العالم عموما، وفي شبه القارة الهندية خصوصا.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة علمية تبرز جهود العلامة المحدث الكوندلوي في خدمة السنة، بل لم أقف على كتاب أفرد في ترجمته عموما إلا ما كتبه السيد شاهد فاروق ناكي بعنوان: "تذكره حافظ محمد كوندلوي" باللغة الأردية، وفيها استطرادات كثيرة. وماعدا ذلك فهي مقالات منشورة في الجرائد الباكستانية، ومقدمات ملحقة في بداية كتب الكوندلوي المطبوعة، وجلها باللغة الأردية، وليس منها باللغة العربية إلا القليل، فلو لم يكن في هذا البحث إلا التعريب والتلخيص

([388]) انظر: رشيد رضا، "مقدمة الكتاب" على "مفتاح كنوز السنة". أ. ي. فنسنك. تعريب: محمد فؤاد عبد الباقي. (ق).

لكفى ذلك، فكيف إذا لم توجد دراسة علمية تعنى ببيان جهوده في خدمة السنة؟

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع وفق البيان الآتي:

المقدمة: فيها إشارة إلى مكانة المؤلف، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

المبحث الأول: ترجمة العلامة الكوندلوي، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه، ومولده

المطلب الثاني: نشأته العلمية وشيوخه

المطلب الثالث: عودته إلى وطنه واشتغاله بالتدريس

المطلب الرابع: تلاميذه

المطلب السادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

المطلب الخامس: مؤلفاته

المطلب السادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

المطلب السابع: مرضه ووفاته

المبحث الثاني: جهوده في خدمة السنة والدفاع عنها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جهوده في خدمة السنة بالتدريس

المطلب الثاني: جهوده في خدمة السنة بالتأليف

المطلب الثالث: جهوده في الدفاع عن السنة

الخاتمة: فيها ذكر أبرز النتائج والتوصيات التي ظهرت خلال البحث.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث منهجا أجمله فيما يلي:

- سلكت المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم جمع المادة العلمية من مصادرها، ثم تحليلها.
- وثقت المعلومات من مصادرها بذكر الجزء والصفحة في الهامش.
- إذا اقتبست قول أحد وهو باللغة الأردية قلت: قال فلان ما معناه.
- ذكرت التواريخ حسب التقويم الميلادي؛ إذ هو المذكور في المصادر، فإن وجدت تاريخا هجريا ألحقته.
- قسمت المؤلفات إلى قسمين: الكتب العربية والأردية، ورتبتها في كل قسم على حروف المعجم.
- قمت بتعريف عامة المؤلفات تعريفا موجزا، وبتعريف مؤلفاته في السنة والدفاع عنها بشيء من التفصيل.

أسأل الله أن يتقبل جهوده، ويسكنه فسيح جناته، وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل.

المبحث الأول: ترجمة العلامة الكوندلوي

المطلب الأول: اسمه ونسبه، ومولده

هو العلامة المحدث الحافظ أبو عبد الله محمد أعظم بن ميان فضل الدين بن ميان بهاء الدين بن ميان كريم بخش بن ميان مستقيم بن ميان عبد الكريم الكوندلوي، واشتهر في الأوساط العلمية بالحافظ محمد الكوندلوي.

ولد يوم الخميس 04/رمضان عام 1315هـ الموافق 27/يناير 1898م بقرية "كوندلانوالا" بولاية "بنجاب"، وهي قرية تقع حاليا في باكستان على بعد ثلاثة أميال غرب المدينة المعروفة بـ"كوجرانوالا".[389]

المطلب الثاني: نشأته العلمية وشيوخه

نشأ في قرية "كوندلانوالا" التي نشطت فيها الدعوة الإسلامية آنذاك بجهود الرجل الصالح محمد عبد الله الكشميري المقاول في ضوء توجيهات علماء الأسرة الغزنوية، وكان يستضيف أهل العلم في مناسبات مختلفة.[390]

كما أن أسرته كانت أسرة دينية، وكانت لوالده عناية بالدعوة والتدريس، فرغب أن يسير ابنه على هذا الدرب، فلما بلغ الابن الخامسة من عمره سلَّمه إلى أحد حفظة القرآن بالقرية؛ ليُحفِّظه، وكان الوالد يهتم بسماع ما يحفظه الابن يوميا، واستمر الأمر على ذلك إلى أن توفي والده بالطاعون، وهو في التاسعة من عمره، فأكمل حفظ القرآن بعد وفاة والده.

وكانت والدته تعتزم أن يدرس ابنه العلوم الشرعية، فأرسلته إلى **الشيخ الصالح علاء الدين** الذي كان يتولى التدريس في مسجد بقرية "كوجرانوالا" آنذاك، فدرس عليه بعض الكتب الأولية في النحو والصرف والأدب العربي.

ثم أرسلته أمه إلى **المدرسة السلفية الغزنوية** بمدينة "أمرتسر" في عام 1910م، وهو ابن ثلاثة عشر سنة، فانتهل من معينها، ودرس هناك الحديث والتفسير والفقه وغيرها من العلوم، وتتلمذ فيها على شيوخ أجلاء، منهم:

- الشيخ عبد الأول بن محمد بن عبد الله الغزنوي (ت 1331هـ)، قرأ عليه بلوغ المرام، ومشكاة المصابيح إلى كتاب الجهاد –مع حفظه عن ظهر قلب–، والنصف الأول من جامع الترمذي.
- والعلامة عبد الجبار بن عبد الله الغزنوي (ت 1332هـ)، قرأ عليه نبذا من جامع الترمذي بعد وفاة الشيخ عبد الأول الغزنوي، وسمع دروسه في القرآن الكريم ثلاث سنوات أثناء الطلب في المدرسة الغزنوية، واكتسب كثيرا من سمته

([389]) انظر: ناكي شاهد فاروق، تذكره حافظ محمد كوندلوي (ص 35-36، 38).

([390]) انظر: أبو البشير عبد الله، تاريخ أهل حديث شهر كوجرانوالا (ص 64-66).

وهديه ودله.

- والشيخ عبد الغفور بن محمد بن عبد الله الغزنوي (ت 1354هـ)، أخو الشيخ عبد الأول السابق الذكر، قرأ عليه سردا في خمسة أشهر الصحيحين، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، أربعتها بالتمام، والنصف الأول من سنن ابن ماجه، والجزء المتبقي من جامع الترمذي ومشكاة المصابيح.

وهؤلاء الثلاثة كانت لهم إجازة من المحدث السيد نذير حسين الدهلوي، وعلى هذا فبين الكوندلوي وبين الدهلوي واسطة واحدة.

- والشيخ محمد حسين الهزاروي، قرأ عليه رسائل النحو والصرف، وألفية ابن مالك، وكافية ابن الحاجب، وشرحها لملا جامي، كما قرأ عليه مختصرات المنطق، ورسائل أصول الفقه الأولية، وأصول الشاشي، والحسامي، ونور الأنوار، ونحوها من الكتب الدراسية المتوسطة السائدة آنذاك.

وهكذا درَس الكوندلوي في المدرسة الغزنوية السلفية زهاء خمس سنوات، ثم سافر إلى دلهي، والتحق بكلية الطب اليوناني، ودرس فيها الطب أربع سنوات على أساتذتها المهرة، على رأسهم الحكيم الطبيب الشهير محمد أجمل خان (ت 1346هـ)، إلى أن تخرج فيها حائزا على شهادة "الحكيم الكامل"، مع الميدالية الذهبية.

وفي أثناء قيامه بدلهي شارك في اختبارات "مولوى فاضل"، و"منشي فاضل" التي كانت تعقده جامعة بنجاب آنذاك، ونجح فيهما بدرجات عالية.

واستفاد في تلك الفترة من علماء دلهي أيضا، منهم: الشيخ المحدث أحمد الله الدهلوي (ت 1362هـ)، والشيخ عبد الرحمن البنجابي، والشيخ محمد إسحاق المنطقي الرامفوري، والشيخ عبد الرحمن الولايتي الدهلوي، والشيخ عبد الرزاق البشاوري، المتخصص في علم الهيئة.

وقد قرأ على هؤلاء الشيوخ – على كل حسب تخصصه- الكتب الدراسية في التفسير والأصول والأدب والكلام والمنطق والفلسفة والهيئة والرياضيات وغيرها من العلوم السائدة آنذاك.

وقد أجازه شيخ البنجاب المحدث عبد المنان بن شرف الدين الوزيرآبادي (ت 1333هـ)، وهو المجاز من السيد نذير حسين الدهلوي (ت 1320هـ)، ومن المحدث عبد الحق البنارسي (ت 1286هـ) المجاز من الإمام الشوكاني، فعلى هذا تكون بين الكوندلوي والدهلوي واسطة واحدة، وبينه وبين الشوكاني واسطتان.[391]

([391]) انظر: البتي محمد إسحاق، نقوش عظمت رفته (ص 124-126)، والقريوتي عاصم بن عبد الله، كوكبة من أئمة الهدى ومصابيح الدجى (ص 22-29)، والفريوائي عبد الرحمن بن عبد الجبار، جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة (ص 201-204)، وناكي شاهد فاروق، تذكره حافظ محمد كوندلوي (ص 39-44).

المطلب الثالث: عودته إلى وطنه واشتغاله بالتدريس

عاد الشيخ بعد تحصيله العلمي إلى وطنه "كوندلانوالا" في حدود عام 1921م، وهو ابن اثنين وعشرين سنة، وبدأت صولاته في ميدان التدريس، واستمرت نحو خمسة وستين عاما إلى أن اخترمته المنية في عام 1985م.

- بدأ يُدرس في **مدرسة نصرة الإسلام** بـ"كوندلانوالا"، ودرّس فيها خلال الفترة 1921-1926م.

وفي هذه الفترة أكب على قراءة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، والشاطبي، والشاه ولي الله الدهلوي، والشاه إسماعيل الشهيد الدهلوي، وغيرهم من العلماء المحققين -رحمهم الله-.

وفي أثناء تدريسه بهذه المدرسة وفقه الله لأداء مناسك الحج في عام 1924م.

- ثم التحق **بدار الحديث الرحمانية** بدلهي عام 1927م مدرسا بناء على طلب وإلحاح من إدارتها، وكانت جامعة نموذجية في شبه القارة الهندية آنذاك، فدرَّس فيها خلال الفترة 1927-1928م.
- ثم رجع إلى "كوندلانوالا"، والتحق **بمدرسة نصرة الإسلام** مدرسا مرة أخرى، ودرَّس فيها خلال الفترة 1929-1932م. وبدأ صيته يذيع في الأوساط العلمية، فكان يرحل إليه الطلاب —بعد تخرجهم في المدراس النظامية- من شقة بعيدة؛ ليرتووا من علمه.
- ثم استقبلته **جامعة دار السلام بعمرآباد** (مدراس/تشناي) مدرسا على منصب شيخ الحديث فدرّس فيها خلال الفترة 1933-1934م، ولكن لم يلائمه مناخ مدينة عمرآباد، فعاد إلى وطنه.
- ثم عُين مدرسا في **المدرسة المحمدية** بـ"كوجرانوالا"، ودرَّس فيها خلال الفترة 1935-1942م، وفي عام 1942م حدثت له حادثة مؤلمة سُجن بسببها بضعة أشهر ظلما وعدوانا، فاضطرت الإدارة إلى إعفائه عن التدريس مع سعيها في الإفراج عنه.
- ثم عُيّن مدرسا في **مدرسة تعليم الإسلام** بقرية "أودانوالا" التابعة لمديرية "لائلفور" (فيصل آباد)، ودرَّس فيها خلال الفترة 1943-1945م، ثم اعتذر عن التدريس فيها.
- ثم تولى مهمة التدريس في "**جامع مسجد مستري علم الدين**"، **المعروف بـ"تاهلي والي مسجد" بـ**"كوجرانوالا" بناء على طلب مسؤوليها، بعد ما رجع من "أدوانوالا" في عام 1945م، واستمر في التدريس فيها إلى عام 1949م.
- ثم تولى مهمة التدريس في **الجامعة الإسلامية بـ"كوجرانوالا"** من يوم تأسيسها عام 1949م إلى أن طلبه أكابر جمعية أهل الحديث المركزية في باكستان من مسؤول الجامعة الإسلامية بكل إلحاح في عام 1956م؛ ليتولى مشيخة الحديث في الجامعة المركزية المسماة بـ"الجامعة السلفية".
- ثم تولى مشيخة الحديث في **الجامعة السلفية بـ "لائلفور"** (فيصل آباد)، بدأ التدريس فيها في مايو من عام 1957م، واستمر فيها إلى عام1962م. واعتذر عن التدريس فيها عند ما تأسست دار الحديث مدينة العلم بـ"دال

بازار، كوجرانوالا"، في فبراير من عام 1963م، إذ قال له مؤسسها: إنك طعنت في السن، ولا تستطيع أن تتحمل مشقة السفر، فتول مشيخة الحديث في "دار الحديث مدينة العلم"، فوافق الشيخ على طلبه.

- تولى مشيخة الحديث في **دار الحديث مدينة العلم** في مارس 1963م، ودرّس فيها عاما واحدا وثلاثة أشهر تقريبا، ثم طلب الإعفاء عن التدريس فيها عند ما وصلته رسالة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز –رحمه الله–رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة آنذاك، يدعوه ليتولى تدريس الحديث فيها.
- تولى تدريس الحديث في **الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة** في عامين دراسيين (1963-1965)، ثم سافر إلى وطنه في عام 1965م وقد منحته إدارة الجامعة التأشيرة والتذكرة ذهابا وإيابا، ولكنه بدأ يعاني من ضعف البصر مع الألم في العين، فبدأ يأخذ العلاج، وأجريت له عملية جراحية في عينه، فلم يتمكن من العودة إلى الجامعة، فأرجع تذكرة الإياب إليها.

وفي أثناء قيامه بالمدينة المنورة أقيم له درس في الحديث بدار الحديث المدنية، فاستفاد منه الأساتذة والطلاب.

وفي هذه الفترة أدى مناسك الحج مع زوجتيه وابنه مسعود أعظم برفقة العلامة عبد الغفار حسن الرحماني، وقد سبقت له حجة الإسلام في عام 1924م، كما تقدم.

- بعد ما أفاق من آثار العملية الجراحية بدأ التدريس في **الجامعة الإسلامية بـ"كوجرانوالا"** مرة أخرى، واستمر فيها إلى عام 1970م، وكان يقتصر على تدريس صحيح البخاري، وخلاصة التفسير من التفاسير المتعددة.
- ثم تولى مشيخة الحديث في **الجامعة المحمدية بـ"كوجرانوالا"** من عام 1970م إلى آخر حياته، وكان يعاني في السنوات الأخيرة من الألم في الركبة، فوفّرت له إدارة الجامعة مركبا يحمله إلى الجامعة، وفي آخر سنة من حياته عند ما اشتد مرضه كان يدرّس طلاب الجامعة في مجلس بيته.[392]

المطلب الرابع: تلاميذه

وهبه الله تعالى ذهنا ثاقبا وعلما راسخا في العلوم العقلية والنقلية، وقد تولى مهمة التدريس أكثر من ستين سنة في عشرة مراكز علمية متباعدة الأطراف في بنجاب ودلهي ومدراس والمدينة النبوية، ولم تكن حلقة درسه في مراكز البنجاب مقصورة على طلابها فحسب، بل كان يحضرها جم غفير من غيرهم، وكانت أكبر الحلقات العلمية على مستوى القارة الهندية آنذاك، بل وُصفتْ بأنها أكبر حلقة بعد حلقة المحدث السيد نذير حسين الدهلوي؛[393] فلا غرو أن يغترف

([392]) انظر: ناكي شاهد فاروق، تذكره حافظ محمد كوندلوي (ص 45-84)، والسلفي منير أحمد، ترجمة مختصرة للشيخ الإمام المحدث الحافظ محمد الكوندلوي، الملحقة في بداية "درس صحيح البخاري" للكوندلوي (ص 14-20).

([393]) وصفه بذلك حافظ عبد الرشيد أظهر في "دين ميں حديث نبوى كا مقام اور اس كى معجزانه حفاظت" في: دوام حديث للكوندلوي (70/2).

من بحر علومه آلاف مؤلفة من الطلاب لا يحصون كثرة، ومن أشهرهم:

- العلامة أبو الطيب محمد عطاء الله حنيف بن صدر الدين الفوجياني (1909-1987م)، صاحب المؤلفات القيمة، منها التعليقات السلفية على سنن النسائي.
- العلامة عبيد الله بن عبد السلام الرحماني المباركفوري (1909-1994م) صاحب مرعاة المفاتيح.
- العلامة نذير أحمد بن عبد الشكور الرحماني (1906-1965م)، صاحب المؤلفات القيمة بالأردية، منها "أهل الحديث والسياسة"، و"رد العقائد البدعية".
- العلامة السيد أبو بكر بن محمد داود بن عبد الجبار الغزنوي (1927-1976م)، عميد الأسرة الغزنوية بعد وفاة والده، وأول نائب رئيس الجامعة الإسلامية بـ"بهاولفور"، وصاحب المؤلفات الكثيرة.
- العلامة إحسان إلهي ظهير (1945-1987م) صاحب المؤلفات القيمة في الفرق خاصة، وهو زوج ابنته.
- العلامة محمد علي جانباز السيالكوتي (1937-2008م) صاحب إنجاز الحاجة في شرح سنن ابن ماجه.
- العلامة عبد المنان بن عبد الحق النورفوري (1945-2012م)، صاحب المصنفات الكثيرة، منها إرشاد القاري، وزبدة التسفير لوجه التفسير.
- المؤرخ المعروف محمد إسحاق البتي (1925-2015م)، رئيس التحرير لجريدة (الاعتصام) الأسبوعية، لاهور، وصاحب المصنفات الكثيرة لا سيما في تراجم علماء وأعيان شبه القارة الهندية.
- العلامة إرشاد الحق الأثري، رئيس قسم التحقيق والإفتاء بجمعية أهل الحديث المركزية، وصاحب المؤلفات القيمة منها إعلاء السنن في الميزان، ومحقق مسند أبي يعلى، وغيره من كتب الحديث.[394]

المطلب الخامس: مؤلفاته

ألف العلامة الكوندلوي نحو عشرين كتابا بين صغير وكبير في أبواب متفرقة باللغتين العربية والأردية، وهي مؤلفات نفيسة تنبئ عن رسوخه في العلوم النقلية والعقلية، إلا أنها قليلة العدد مقارنة بمكانته العلمية، وذلك لاشتغاله بالتدريس، ولعدم وفرة المصادر التي تعين على التأليف في تلك المدارس التي قضى فيها أكثر حياته.

أولا: الكتب العربية

1) إرشاد القاري إلى نقد فيض الباري: سيأتي الكلام عليه في المبحث الثاني.

2) بغية الفحول في شرح مختصر الأصول: ألف الشاه إسماعيل الشهيد الدهلوي (ت 1246هـ) رسالة لطيفة

([394]) انظر: البتّي محمد إسحاق، نقوش عظمت رفته (ص 147-151)، والقريوتي عاصم بن عبد الله، كوكبة من أئمة الهدى ومصابيح الدجى (ص 31-33).

في أصول الفقه، فشرحها العلامة الكوندلوي شرحا مختصرا، وبيّن الراجح من المرجوح في المسائل الخلافية.

3) تحفة الإخوان: رسالة لطيفة جمع فيه المصنف اعتقاد أهل السنة والجماعة، مع التنبيه على ضلالات المخالفين كالفلاسفة والمتكلمين.

4) التعليقات على مشكاة المصابيح: سيأتي الكلام عليه في المبحث الثاني.

5) زبدة البيان في تنقيح حقيقة الإيمان وتحقيق زيادته والنقصان: رسالة لطيفة بين المؤلف فيها حقيقة الإيمان عند السلف، وردَّ على الفرق الضالة الذين خالفوا سلف الأمة في حقيقة الإيمان.

6) شرح تراجم أبواب البخاري: سيأتي الكلام عليه في المبحث الثاني.

ثانيا: كتبه باللغة الأردية

7) إثبات التوحيد وإبطال التثليث: رد فيه على كتاب (إثبات التثليث في التوحيد) للمنصر اليسوعي عبد الحق (ت 1972م) بالبراهين العقلية، وقد قام بتعريبه الشيخ عبد المنان النورفوري.

8) "اسلام کی پہلی کتاب" (الكتاب الأول للإسلام): وهو في عداد المفقود.

9) "اسلام کی دوسری کتاب" (الكتاب الثاني للإسلام: رسالة وجيزة بين فيها المؤلف العقائد الإسلامية الأساسية بأسلوب سلس، وقد قام بتعريبها الشيخ عبد المنان بن عبد الحق النورفوري (ت 1433هـ).

10)"**الإصلاح**": **يتكون هذا الكتاب من ثلاث رسائل: أما الرسالة الأولى** ففي الرد على كتاب "باكت بك حنفيه، حصه دوم" (كتاب الجيب للحنفية، الجزء الثاني) الذي حاول فيه مؤلفه محمد حسين البريلوي من سكان "كوندلانوالا" أن يبرهن –وأنى له ذلك؟– على شرعية بعض العقائد والأعمال الشركية والبدع السائدة عند البريلوية، **وأما الرسالة الثانية** ففي الرد على كتاب "قراءة الفاتحة على الطعام" للمؤلف نفسه، **وأما الرسالة الثالثة** فتسمى: (النبراس في الفرق بين البدعة والقياس)، وبيّن فيها المؤلف الفرق بين البدعة والقياس والمصالح المرسلة.[395]

11) "إهداء الثواب" رسالة لطيفة بحث فيها المؤلف مسألة إهداء الثواب إلى الموتى في ضوء الكتاب والسنة، وأثنى عليها العلامة عبيد الله الرحماني المباركفوري[396] ، وقام بتعريبها الشيخ عبد الجبار بن غلام رسول.

12) "التحقيق الراسخ في أن أحاديث رفع اليدين ليس لها ناسخ": سيأتي الكلام عليه في المبحث الثاني.

13) ترجمة البدور البازغة، للشاه ولي الله الدهلوي (ت 1176هـ) من العربية إلى الأردية.

14) "تنقيد المسائل": كتاب انتقد فيه المؤلف أفكار الأستاذ أبي الأعلى المودودي في بعض المسائل العقدية والفقهية والسياسية، وقام بتعريبه الشيخ عبد الجبار بن غلام رسول.

([395]) انظر: الإصلاح (ص 134، و274).

([396]) انظر: مرعاة المفاتيح (453/5).

15) "ختم النبوة": أثبت المؤلف في هذه الرسالة عقيدة ختم النبوة، ثم أبطل دعوى المتنبي غلام أحمد القادياني، وبين أكاذيبه، وقام بتعريبها الشيخ عبد المنان النورفوري.

16) "**خير الكلام في وجوب الفاتحة خلف الإمام**": ألفه مؤلفه ابتداء لم يقصد به الرد على كتاب معين، ولما قارب على الانتهاء منه طبع كتاب "أحسن الكلام في ترك القراءة خلف الإمام" للشيخ محمد سرفراز خان صفدر، فطلب منه تلاميذه أن ينظر فيه، ويفند استدلالاته وإيراداته، فلبّى طلبهم.

17) "**درس صحيح البخاري**": سيأتي الكلام عليه في المبحث الثاني.

18) "دوام الحديث": سيأتي الكلام عليه مفصلا في المبحث الثاني.

19) "سنت خير الأنام در سه وتر بيك سلام": سيأتي الكلام عليها في المبحث الثاني.

20) "الصلاة المسنونة": رسالة لطيفة تكلم فيها المؤلف عن أحكام الصلاة المهمة بأنواعها بإيجاز واف، وألحق في آخرها مواقيت الصلاة حسب توقيت مديرية "كوجرانوالا".

وهذه الكتب كلها مطبوعة إلا ثلاثة: التعليقات على المشكاة -قيد الطبع-، وترجمة البدور البازغة -وما زالت مخطوطة عند ابنه مسعود أعظم-، والكتاب الأول للإسلام -في عداد المفقود-[397] .

المطلب السادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

قد من عليه المنعم الوهاب بسعة الحفظ وقوة الذاكرة، فقد ذكروا في ترجمته عدة وقائع تدل على أنه إذا نظر في كتاب أو قرئ عليه ثبت في حفظه، كما وهبه ذهنا ثاقبا وقادا يفهم المعضلات بكل سهولة، وينقد الجيد من البهرج بكل قناعة، ووفقه للاجتهاد في التحصيل، ورزقه اللذة في العبادة والقناعة بالقليل، فصار عالما ربانيا متفننا متضلعا من العلوم العقلية والنقلية، يُرجع إليه في كشف المعضلات، ويستضاء بآرائه في حل المشكلات، كما شهد بذلك من رآه عن كُثب".[398] **وفيما يلي بعض أقوالهم:**

- قال العلامة الشنقيطي صاحب أضواء البيان: "ما رأيت أعلم على وجه الأرض من هذا الشيخ".[399]

([397]) انظر: السلفي منير أحمد، ترجمة مختصرة للشيخ الإمام المحدث الحافظ محمد الكوندلوي، الملحقة في بداية "درس صحيح البخاري" للكوندلوي (ص 26-27)، والفريوائي عبد الرحمن بن عبد الجبار، تقديمه على مجموع رسائل في العقائد والأصول للكوندلوي (12/1-47)، وحافظ شاهد رفيق، كلمة التحقيق على المجموع نفسه (51/1-64)، وحافظ شاهد محمود، مقدمة التحقيق على "مقالات المحدث الكوندلوي" (36/1-40).

([398]) انظر: ناكي شاهد فاروق، تذكره حافظ محمد كوندلوي (ص 117-128، و219-220).

([399]) انظر: عبد الرحمن ضياء، "محدث مفسر فقيه اصولى امام حافظ محمد كوندلوى كا علمى مقام" في "مقالات المحدث الكوندلوي" (ص 19)، ونعيم الحق نعيم، "أستاذ الكل في الكل حضرت حافظ محمد كوندلوي". ملحق في: دوام حديث، للكوندلوي (52/2).

- وقال تلميذه الشيخ نذير أحمد الأملوي الأعظمي: "هو مغبوط في الأزمان، ومحسود في الأقران، عالم متوقد، وفاضل متفرد".[400]
- وقال تلميذه محمد إسحاق البتي المؤرخ المعروف ما ملخصه: "كان عالما متفننا متمكنا في التفسير والحديث والفقه والأدب العربي والفلسفة والمنطق والمعاني والبيان والصرف والنحو وغيرها من العلوم المتداولة، وكان دقيق النظر في العلوم النقلية والعقلية، فإذا تكلم حول موضع عُرف أنه يحيطه من جميع جوانبه، ولا يدانيه أحد من علماء عصره في الذكاء والفطنة وسعة العلم،.... وإذا سأله أحد عن عقدة علمية وجدها عنده محلولة منقحة،.... وإذا تكلم عن الحديث ورجاله يستشعر المستمع كأنه يحفظ أمهات كتب الشروح والرجال".[401]
- وترجم له الأستاذ الدكتور عاصم بن عبد الله القريوتي في كتابه: "كوكبة من أئمة الهدى ومصابيح الدجي، ووصفه بقوله: "الفقيه المفسر المحدث المسند الأصولي الزاهد العلامة المفتي الشيخ الإمام".[402]

وسيأتي أيضا بعض الأقوال عند ذكر عزاء أهل العلم في المطلب التالي.

المطلب السابع: مرضه ووفاته

كان العلامة الكوندلوي رجلا متهجدا، لا يترك التهجد في حضره ولا في سفره، فحسب عادته قام من نومه للتهجد في الثاني من شهر فبراير عام 1985م، وذهب إلى الحمام، فزلت قدمه، فانكسرت رجله، ومن ثَم بدأ يعاني من مرض شديد، واستمرت معاناته طيلة أربعة أشهر، حتى **وافاه الأجل المحتوم في الساعة الثالثة عصرا من اليوم الرابع من شهر يونيو 1985م الموافق للرابع عشر من شهر رمضان 1405هـ** عن عمر يناهز تسعين عاما، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي اليوم التالي صلى عليه أمير جمعية أهل الحديث (باكستان) آنذاك شيخ الحديث محمد عبد الله بن عبد الرحمن، وحضر في جنازته حشد عظيم من العلماء والمثقفين والسياسيين والعوام من مختلف المدن والقرى[403] . رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

قال شيخ الحديث محمد عبد الله بن عبد الرحمن إثر وفاته ما حاصله: "كان الكوندلوي عديم النظير في سعة علمه وسرعة استحضاره، وكلما انغلقت على أحد مسألة رجع إليه فوجد حلها عنده، فكان –حقا– منبعا للعلم، ومرجعا

([400]) انظر: الأملوي نذير أحمد الرحماني، تقريظه على "التحقيق الراسخ في أن أحاديث الرفع ليس لها ناسخ". (ص 8).

([401]) انظر: البتي محمد إسحاق، نقوش عظمت رفته (ص 133).

([402]) انظر: القريوتي عاصم بن عبد الله، كوكبة من أئمة الهدى ومصابيح الدجى (ص 20).

([403]) انظر: السلفي منير أحمد، ترجمة مختصرة للإمام الكوندلوي، الملحقة في بداية "درس صحيح البخاري" (ص 26-27)،

للعلماء، وقد فقدت مجالس العلم برحيله بهجتها".[404]

وقال العلامة عبيد الله الرحماني المباركفوري في رسالة العزاء التي بعث بها إلى الفوجياني إثر وفاة الكوندلوي: "كان الفقيد مرجعا علميا لجماعة أهل الحديث في شبه القارة الهندية، ولا يوجد من يسد تلك الثغرة العلمية التي أحدثها رحيله".[405]

المبحث الثاني: جهوده في خدمة السنة والدفاع عنها

المطلب الأول: خدمة السنة بالتدريس

اهتم الكوندلوي بتدريس كتب الحديث أكثر من ستين سنة، فدرس الكتب الستة والموطأ في فترات مختلفة، وعني بتدريس صحيح البخاري عناية فائقة، فدرَّسه كاملا أكثر من خمسين مرة،[406] وكانت حلقته تعج بالطلاب، ودروسه زاخرة بالعلم والعرفان؛ فتربى على يديه جيل حملوا راية السنة في شتى الميادين، فمنهم من اشتغل بالتصنيف في فنون الحديث تأصيلا ودفاعا، وبالتحقيق لكتب الحديث، ومنهم من تولى التدريس ومشيخة الحديث، وما أكثرهم في الديار الباكستانية! وقد سبق ذكر بعض النماذج في مبحث التلاميذ، وكل واحد منهم يعتبر حسنة من حسنات هذا العالم النبيل.

وقد طبع بعض دروسه بعنوان "**درس صحيح البخاري**"، وهو عبارة عن بعض دروسه التي ألقاها في الجامعة المحمدية بـ"كوجرانوالا" خلال الفترة 1975/12/08-/10/26م، وينتهي بشرح باب الدين النصيحة من كتاب الإيمان، وقام الشيخ منير أحمد السلفي (ت 2010م) بتسجيلها وتهذيبها وطباعتها[407]

ويقع هذا الجزء في ست مائة وإحدى وخمسين صفحة، وأوله مدخل إلى دراسة صحيح البخاري من بيان المباحث الأساسية لعلم الحديث، والتعريف المفصل بالإمام البخاري وصحيحه في نحو مائتين وست وستين صفحة (ص29-294)، ويتلوه شرح الأبواب المهمة من كتاب بدء الوحي وكتاب الإيمان في نحو ثلاث مائة وسبع وخمسين صفحة (ص 295-651). ولم يشرحه الكوندلوي حديثا حديثا، بل شرح ما رآه مهما، أو ما أستشكله تلاميذه.

وقد أثنى على هذه المجوعة العلامة عبد الله ناصر الرحماني، فقال ما معناه: "هذا الكتاب خزانة للعلوم والمعارف، وأنموذج رائع نادر لتمثيل منهج المحدثين واستئصالِ شبهات المبتدعين... ولو سجلت جميع دروسه على صحيح البخاري

([404]) انظر: ناكي شاهد فاروق، تذكره حافظ محمد كوندلوي (ص 102).

([405]) انظر: المصدر نفسه (ص 104).

([406]) انظر: القريوتي عاصم بن عبد الله، كوكبة من أئمة الهدى ومصابيح الدجى (ص 26).

([407]) انظر: السلفي منير أحمد، مقدمته على "درس صحيح البخاري" (ص 1-7).

لظفر العلماء والطلاب بمتاع علمي مبارك نفيس جدا، ولكن قدر الله وما شاء فعل". اهـ [408]

المطلب الثاني: خدمة السنة بالتأليف

لا تخلو مؤلف من مؤلفات العلامة الكوندلوي من أحاديث نبوية ومباحث حديثية، وقد سبق ذكرها في مبحث المؤلفات، ويُكتفى هنا بتعريف وجيز لبعض الكتب التي تتعلق بفقه السنة وشروح الحديث فقط، وهي:

- **إرشاد القاري إلى نقد فيض الباري:** كتاب فيض الباري مجموعة أمالي المحدث أنور شاه الكشميري (ت 1352هـ) على صحيح البخاري بدار العلوم ديوبند، ورتبها تلميذه الشيخ بدر عالم الميرتهي.[409]

وقد درَّس الكوندلوي صحيح البخاري أكثر من خمسين سنة، فكان يعلق أثناء المطالعة على فيض الباري ما تمليه قريحته من تعقبات علمية ونكات بديعة فيما رآه يحتاج إلى نقد وتصويب، فجمعها تلميذه البار الشيخ عبد المنان بن عبد الحق النورفوري (ت 1433هـ)، وجعلها كالأساس، وزاد عليها أبحاثا نفيسة كثيرة.

وقد عرضها النورفوري على شيخه الكوندلوي عند ما وصل في مشروعه هذا إلى "باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد" من كتاب العلم، فاستحسنه، وصوب بعض مواضعه، وكتب عليه: "وإن تمَّ كان مفيدا للطلبة، وأرجو أن يوفقه الله تعالى للإتمام".اهـ.

ورتب الجامع التعقبات على النحو التالي:

- قال: ... (ما يذكر بعد لفظة "قال" الواردة في بداية الفقرة فهو من كلام صاحب فيض الباري).
- أقول: ...(ما يذكر بعد لفظة "أقول" الواردة في بداية الفقرة فهو من كلام الكوندلوي).
- يقول: ...(ما يذكر بعد لفظة "يقول" الواردة في بداية الفقرة فهو من زوائد الجامع النورفوري).[410]

وليس بلازم أن يجتمع كلام الكوندلوي والنورفوري في كل تعقيب، بل أحيانا يكون التعقيب من أحدهما دون الآخر، علما بأن تعقبات الكوندلوي متينة مختصرة غالبا، وهي قليلة لكنها بمثابة الأساس، وتعقبات النورفوري كثيرة وطويلة برزت فيها مكانته العلمية.

([408]) انظر الرحماني عبدالله ناصر، مقدمته على "شرح حديث هرقل " (ص 32). وهو شرح مستل من "درس صحيح البخاري"، ونشر في رسالة مستقلة مع شرح العلامة عبد الله ناصر الرحماني.

([409]) انظر: البنوري محمد يوسف، "ترجمة إمام العصر الأستاذ المحدث محمد أنور الكشميري الحنفي". في: فيض الباري للكشميري (25/1).

([410]) انظر: النورفوري عبد المنان عبد الحق، إرشاد القاري (29/1، 31)، والمحمدي محمد طيب، مقدمة المترجم على كتاب تفهيم القاري ترجمة وتوضيح إرشاد القاري –باللغة الأردية– (19/1-21).

ونشر الكتاب في أربع مجلدات ضخام[411] في ألفين ومائتين وثلاث وثلاثين صفحة، آخره "باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء" من كتاب الصلاة، ويحوي ألف وأربعمائة وثمانية عشر تعقيبا.

وقد أثنى عليه الأستاذ الدكتور وصي الله بن محمد عباس[412] مع الإشارة إلى بعض القصور فيه، فقال: "والكتاب مفيد في بابه، يعين على فهم مسائل مهمة من كتاب صحيح البخاري –رحمه الله تعالى–". ثم قال: "إن بعض المسائل التي أوردها تحتاج إلى إيضاح قبل إيراد الجواب عليها، والأمثلة في الكتاب كثيرة، كما أن بعض الأجوبة والردود تحتاج إلى إيضاح أيضا".اهـ.

- **"التحقيق الراسخ في أن أحاديث رفع اليدين ليس لها ناسخ"**: ذكر فيه المؤلف الأحاديث التي تدل على مشروعية رفع اليدين في المواطن الثلاثة من الصلاة، ورد على استدلالات المخالفين ومغالطاتهم رد علميا متينا، واعتنى خصوصا برد شبهات ومغالطات الشيخ أشفاق الرحمن الحنفي في رسالته المسماة بـ"نور العينين"، وقد أثنى عليه العلامة المحدث أحمد الله البرتابكرهي ثم الدهلوي في تقريظه عليه ثناء عاطرا.[413]

- **"التعليقات على مشكاة المصابيح"**: بدأ المصنف يشرح المشكاة شرحا علميا مفصلا، ووصل فيه إلى باب الغسل من كتاب الطهارة في نحو سبع مائة صفحة، وشرح أربع مائة وخمسة وعشرين حديثا، ثم توقف عن الشرح، ولما سئل عن إكماله، قال: "يشرحه عبيد الله المباركفوري، فأعرضت عن إكماله"[414] ، والكتاب قيد الطبع في "أم القرى للطباعة والنشر" بباكستان.

- **"سنت خير الأنام در سه وتر بيك سلام" (سنة خير الأنام في الإيتار بثلاث ركعات بسلام)**: هذه الرسالة مجموعة المساجلات العلمية بين الشيخ محمد عطاء الحنفي (مدرس المدرسة العربية الإسلامية لتعليم القرآن بـ"ميانوالى")، والشيخ الكوندلوي، فإن الأول كان يرجح الصفة المعمول بها عند الأحناف في الإيتار بثلاث ركعات، وهي كصلاة المغرب بتشهدين وسلام واحد، وأما الثاني فكان يقرر أن له صفتين مسنونتين: الأولى: أن يسرد ثلاث ركعات بتشهد واحد، والثانية: أن يسلم من ركعتين ثم يوتر بواحدة. وأما الصفة المعمول بها عند الحنفية فهي غير ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وبدأت هذه المساجلة عند ما أرسل إلى الشيخ الكوندلوي تلميذه الشيخ فضل حق الهاشمي السلفي الميانوالي فتوى الشيخ محمد عطاء الحنفي الذي حاول فيه أن يثبت أن الصفة المعمول بها عند الحنفية هي السنة،

([411]) أما المجلدات الثلاث الأولى فمن منشورات إدارة التحقيقات السلفية، بـ"كوجرانوالا، باكستان. وأما المجلد الرابع فمن منشورات أم القرى للطباعة والنشر بـ"كوجرانوالا" باكستان.

([412]) في مقدمته على إرشاد القاري (2/4)، وهو أستاذ الحديث وعلومه في جامعة أم القرى والمدرس بالمسجد الحرام بمكة المكرمة.

([413]) طبعه مكتب ندوة الطلباء بـ"كوندلانوالا" في عام 1349هـ/1930م، ثم نشرته دار الدعوة السلفية لاهور في صفر 1406هـ/نوفمبر 1985م في مائة وتسع وتسعين صفحة.

([414]) انظر: ناكي شاهد فاروق، تذكره حافظ محمد كوندلوي (ص 131).

وأجاب عن الأحاديث التي تخالف مذهبه، فرد عليه الشيخ الكوندلوي، فقام الشيخ محمد عطاء الحنفي بالرد عليه، فرد عليه الكوندلوي ردا ثانيا، وعليه توفقت هذه السلسلة.[415]

- **"شرح تراجم أبواب البخاري"**: كان المؤلف مولعا جدا بدراسة صحيح البخاري وتدريسه، وقد قيل: "فقه البخاري في تراجمه"، فاعتنى المؤلف بتراجمه، وألف هذا الكتاب، وبدأه ببيان مكانة صحيح البخاري، وأهمية تراجمه وأنواعها بشيء من التفصيل، ثم شرح تراجم الأبواب، وذكر فيها آراءه وترجيحاته في بيان مقاصد الإمام البخاري في تراجم أبوابه، وبين المناسبة بين الحديث والباب، وأكثر من النقل من فتح الباري وغيره من الشروح إلا أنه نبه على الضعف الذي وجد في كلامهم، وبين وجه الصواب فيه، ولكن لم يُعثر على الكتاب كاملا.[416]

المطلب الثالث: جهوده في الدفاع عن السنة

نذر العلامة الكوندلوي نفسه لتدريس الحديث الشريف ونشره أكثر من ستين عاما، وكان يهتم غاية الاهتمام ببيان مكانة السنة وحجيتها ولزوم اتباعها قبل الشروع في دراسة أحاديث صحيح البخاري[417] ، وكذلك كان يسلك في جل مؤلفاته مسلكا يُرسِّخ به في ذهن القاري حب السنة واحترامها واتباعها، وهذه طريقة تأصيلية لترسيخ مكانة السنة في الأذهان، وهي بمثابة تقوية المناعة الداخلية، فهي كلما قويت ضعفت آثار الحملات ضدها.

وقد عُني أيضا بالرد على بعض كبار منكري السنة في زمانه، وكتابه المطبوع بعنوان "**دوام الحديث**"[418] خير شاهد

([415]) نشرها الشيخ فضل حق الهاشمي السلفي الميانوالي للمرة الأولى في حياة المؤلف في خمس وسبعين صفحة من مدينة "ميانوالى"، ولم يسجل عليه تاريخ الطبع، ثم طبعتها أم القرى للطباعة والنشر بـ"كوجرانوالا" ضمن "مقالات المحدث الكوندلوي" في عام 2011م بتحقيق حافظ شاهد محمود.

([416]) ذكر الشيخ حافظ شاهد رفيق أنه عثر على جزأين من مخطوط هذا الكتاب بخط المؤلف: أما الجزء الأول ففي مائتين وثمان صفحات، ويبدأ –بعد المقدمات– من الباب الأول من صحيح البخاري، وينتهي بـ"باب غسل الرجلين في النعلين...." من كتاب الوضوء. وفي نهاية هذا الجزء توقيع للمؤلف مع التاريخ (يوم الاثنين 10/رجب عام 1366هـ). وأما الجزء الثاني ففي إحدى وتسعين صفحة، ويبدأ من "باب متى يقوم الناس إذا رأوا الإمام عند الإقامة" من كتاب الأذان، وينتهي إلى "باب جهر الإمام بالتأمين". وطبع الجزء الموجود منه لأول مرة بتحقيق الشيخ حافظ شاهد رفيق ضمن مجموع رسائل الكوندلوي في العقائد والأصول. (انظر: حافظ شاهد رفيق، مقدمة التحقيق على المجموع المذكور ص 63).

([417]) انظر: البتي محمد إسحاق، نقوش عظمت رفته (ص 131).

([418]) لم يتيسر طبعه في حياة المؤلف على صورة الكتاب، بل طبع في مجلة «الاعتصام» الأسبوعية، ومجلة "رحيق" الشهرية، ومجلة "ترجمان الحديث" الشهرية في حلقات عديدة، فلم يضع المؤلف عنوان الكتاب الذي ألفه للرد على غلام أحمد برويز، فسماه بهذا الاسم (دوام حديث) العلامة محمد عطاء الله حنيف الفوجياني، وبهذا الاسم طبع الكتاب بجزأيه. (انظر: عبد الرشيد أظهر، تقديمه على كتاب دوام الحديث للكوندلوي 69/2، والفوجياني محمد عطاء الله حنيف، مجلة "رحيق" الشهرية، عدد ديسمبر 1958م،

على ذلك، وقد طبع في جزأين في نحو ألف صفحة، وكل جزء بمثابة كتاب مستقل.

أما الجزء الأول ففي الرد على كتاب "مقام حديث"، الذي ألفه عدو السنة غلام أحمد برويز (1903-1985م) باللغة الأردية، وجمع فيه شبهات منكري السنة النبوية ومطاعنهم في السنة قديما وحديثا، وطبعه في عام ١٩٥٣م، فتصدى للرد عليه العلامة الكوندلوي في السنة نفسها ردا علميا.

وأما الجزء الثاني ففي الرد على كتاب "دو إسلام" (إسلامان) الذي ألفه الدكتور غلام جيلاني برق (1901-1985م) باللغة الأردية مقررا أن السنة لم تدون إلا بعد قرنين ونصف، ووجَّه فيه سهاما مسمومة إلى السنة النبوية للقضاء على مكانتها، ونشره في عام 1949م لأول مرة،[419] فتصدى الكوندلوي للرد عليه – بعد ما انتهى من الرد على غلام أحمد برويز- بعنوان: "ايك إسلام بجواب دو إسلام" (أي: إسلام واحد في الرد على كتاب "إسلامان")، وكان الجيلاني من كبار منكري السنة آنذاك، فلما ألف هذا الكتاب تتابعت ردود أهل العلم عليه،[420] فبدأ يطالع ما تيسر له منها بنية صادقة، حتى شرح الله صدره، فرجع من هذا الضلال المبين، وألف كتاب (تاريخ حديث) في عام 1969م، وأعلن فيه رجوعه[421]، ومنع الناشر من طبع كتابه (دو إسلام) منعا باتا،[422] ومع ذلك ما زال ينشره بعض المغرضين الحاقدين على السنة، ثم إن الشبهات والمطاعن التي ذكرها الجيلاني هي شائعة متداولة بين منكري السنة، يقذفونها إلى أتباع السنة النبوية بين الفينة والأخرى، فما زالت حاجة الأمة إلى هذا الكتاب وأمثاله قائمة حتى بعد توبة المؤلف، تقبل الله توبته وغسل حوبته.

وهذا الكتاب –بجزأيه- ألفه مؤلفه أساسا للرد على المؤلفَينِ المذكورين في كتابيهما، لكنه في الوقع ردٌ علمي على كبار منكري السنة الذين سُطِرت آرائهم في الكتابين، كما تضمن ردودا على بعض الكُتاب المعاصرين الذين نقل المؤلفان من كلامهم ما يقلل أو يزعزع ثقة القاري بالسنة، فجاء الرد عليهم أيضا في أثناء مناقشته لهما.

وهو كتاب نفيس يبرهن كتابة الحديث وتدوينه ومكانته وحجيته، ويدمغ شبهات الطاعنين في السنة، ويدحض مزاعمهم، كل ذلك بأسلوب علمي خالص في ضوء البراهين المقنعة المفحمة على وجه التفصيل، ويشتمل على فوائد بهية في علم الحديث ومناهج المحدثين، وعلى مباحث علمية ونكات بديعة تتعلق بالعقيدة وعلوم القرآن والفقه وأصوله

ص 186).

([419]) انظر: برق غلام جيلاني، دو إسلام (ص 32).

([420]) رد عليه الشيخ داود راز الدهلوي في كتابه (خالص إسلام)، والأستاذ مسعود أحمد (بي. إيس. سي) في كتابه (تفهيم إسلام)، والشيخ سرفراز أحمد صفدر في كتابه: (صرف أيك إسلام)، وغيرهم.

([421]) انظر: برق غلام جيلاني، تاريخ حديث (ص 7-8).

([422]) كما ذكر في رسالته المؤرخة (1972/11/14م) التي بعث بها إلى الأستاذ مسعود أحمد (بي. إيس. سي. وهي ملحقة في آخر الطبعة الثالثة لكتاب (تفهيم إسلام ص 579).

وغيرها، ويمتاز بآراء مؤلفه التي تدل على علو كعبه، وكان له أثر بارز ملموس في تقليص آثار هذه الفتنة وترسيخ الثقة بالسنة في قلوب أهل الحق وطالبيه، فجزى الله مؤلفه عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

الخاتمة

في الختام أحببت أن أبرز بعض الجوانب التي ظهرت خلال هذا البحث:

- كان العلامة المحدث الحافظ محمد الكوندلوي البنجابي (1315-1405هـ) عالما ربانيا متفننا متضلعا من العلوم النقلية والعقلية، وهو من كبار محدثي القرن الرابع عشر في شبه القارة الهندية.
- تولى مهمة التدريس مدة طويلة تربو على ستة عقود في عشر مؤسسات تعليمية، منها دار الحديث الرحمانية، بدلهي، وجامعة دار السلام بعمرآباد (مدراس، الهند)، والجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، والجامعة السلفية بفيصل آباد (بنجاب، باكستان)، والجامعة الإسلامية والجامعة المحمدية بكوجرانوالا (بنجاب).
- درَّس الكتب الستة والموطأ وغيرها في فترات مختلفة، وعني بتدريس صحيح البخاري عناية فائقة، فدرَّسه كاملا أكثر من خمسين مرة، وكانت حلقته في مراكز البنجاب أكبر الحلقات العلمية على مستوى القارة الهندية آنذاك، بل وُصفتْ بأنها أكبر حلقة بعد حلقة المحدث السيد نذير حسين الدهلوي.
- تخرج على يديه جيل عظيم لا يحصون كثرة، ومنهم علماء أجلاء حملوا راية السنة في شتى الميادين من مشيخة الحديث والتدريس والتصنيف والتحقيق والدعوة والإرشاد، ولهم آثار بارزة ملموسة في ميادينهم، وما أكثرهم في الديار الباكستانية! وهم امتداد لعلومه وجهوده في نشر السنة والدفاع عنها.
- خلف إرثًا علميًا نفيسا، تجاوز عشرين مؤلفًا باللغتين العربية والأردية في أبواب متفرقة من العقيدة والحديث والفقه والأصول وغيرها، وهي تتراوح بين تأصيل العلم الشرعي بالكتاب والسنة على منهج سلف الأمة، والرد على الملل والنحل الباطلة والبدع السائدة والآراء المخالفة للسنة، وتتسم بالدقة والتحقيق، وقوة الاستدلال بالأدلة النقلية والعقلية، والأسلوب العلمي الخالص مع الإيجاز والتركيز.
- كان له قدمٌ راسخة في الرد على أهل البدع ومنكري للسنة، فقد تصدى لشبهاتهم ومغالطاتهم بعلم راسخ وحجة قوية، ومن أشهر مؤلفاته في هذا الباب كتابه "دوام الحديث"، الذي فنّد فيه شبهات كبار منكري السنة، ودحض مزاعمهم بأسلوب علمي رصين.
- ظل العلامة الكوندلوي مُواصلا جهوده في إحياء السنة ونشرها إلى ما قبل وفاته بنحو خمسة أشهر حين أصيب بحادث أدى إلى انكسار رجله، واستمرت معاناته إلى أن توفي في الرابع عشر من رمضان سنة 1405هـ مخلفًا وراءه حسنات جارية تمثلت في تلاميذه ومؤلفاته، ولا تزال جهوده محط تقدير وإعجاب في الأوساط العلمية، فهو – حقا– علم من أعلام الأمة الذين أضاءوا سماء العلم بعلمهم وتقواهم وجهدهم، واستأهلوا أن تُسطَّر أسماؤهم في تاريخ

السنة بحروف من ذهب، فجزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

التوصيات: تبين من خلال هذه الدراسة، أن هناك عدة جوانب من سيرته وأعماله لا تزال بحاجة إلى المزيد من البحث والتعمق، ومن ثمّ فإن هذا البحث يوصي بما يلي:

1) **مواصلة الجهود في تحقيق وتعريب مؤلفاته** التي لا تزال بحاجة إلى العناية العلمية الخاصة على غرار مؤلفاته الأخرى التي عني بتحقيقها وتعريبها.

2) **إعداد رسالة علمية عن جهوده في خدمة السنة النبوية،** وتشمل دراسة شاملة لمؤلفاته، وآراءه في علوم الحديث ومناهج المحدثين، ومنهجه في الدفاع عن السنة، كما تشمل بيان جهوده في تدريس الحديث، وخصائص درسه، ومدى تأثيره في ميادين شتى.

3) **إعداد رسالة علمية عن آرائه الأصولية،** حيث إن له إفادات جيدة وكثيرة في مباحث أصول الفقه، لا سيما في كتابه "الإصلاح" و"دوام الحديث"، بالإضافة إلى كتابه "بغية الفحول"[423].

وختامًا، أسأل الله عز وجل أن يتقبل جهوده، ويجعلها في ميزان حسناته.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

1- البنوري، محمد يوسف. (2005م). ترجمة إمام العصر الأستاذ المحدث محمد أنور الكشميري الحنفي. في: فيض الباري على صحيح البخاري. إفادات الكشميري محمد أنور شاه. جمع وترتيب: محمد بدر عالم الميرتهي. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

2- حافظ شاهد رفيق. (1440هـ). كلمة التحقيق على مجموع رسائل في العقائد والأصول. الكوندلوي حافظ محمد. ط1، كوجرانوالا: أم القرى للطباعة والنشر.

3- رشيد رضا. (1978م). "مقدمة الكتاب" على "مفتاح كنوز السنة". أ. ي. فنسنك. تعريب: محمد فؤاد عبد الباقي. ط1، لاهور: إدارة ترجمان السنة.

4- الفريوائي، عبد الرحمن بن عبد الجبار. (1440هـ). تقديم على مجموع رسائل في العقائد والأصول. الكوندلوي حافظ محمد. ط1، كوجرانوالا: أم القرى للطباعة والنشر.

5- الفريوائي، عبد الرحمن بن عبد الجبار. (1986م). جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة. ط2، بنارس: إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية.

([423]) كما اقترح ذلك الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي في تقديمه على مجموع رسائل في العقائد والأصول للكوندلوي (20/1).

6- القريوتي، عاصم بن عبد الله. (2000م). كوكبة من أئمة الهدى ومصابيح الدجى. ط1، (د. م: د. ن).
7- الكوندلوي، حافظ محمد. (1440هـ). شرح تراجم أبواب البخاري. ضمن مجموع رسائل في العقائد والأصول. تحقيق: حافظ شاهد رفيق. ط1، كوجرانوالا: أم القرى للطباعة والنشر.
8- المباركفوري، عبيد الله بن محمد عبد السلام. (1984م). مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. ط3، بنارس: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية.
9- النورفوري، عبد المنان. (د. ت). إرشاد القاري إلى نقد فيض الباري. ط1، لاهور: إدارة التحقيقات السلفية.
10- وصي الله محمد عباس. (د.ت). تقديم على إرشاد القاري. النورفوري عبد المنان. ط1، كوجرانوالا: أم القرى للطباعة والنشر. (المجلد الرابع من منشورات هذه الدار).

ثانياً: المراجع الأردية

11- أبو البشير عبد الله. (1980م). تاريخ أهل حديث شهر كوجرانوالا. الناشر: بابو محمد حسين، محمد إسحاق ولد مسترى احمد دين.
12- الأملوي، نذير أحمد الرحماني. (1985م). تقريظ على "التحقيق الراسخ في أن أحاديث الرفع ليس لها ناسخ ". الكوندلوي حافظ محمد. ط2، لاهور: دار الدعوة السلفية.
13- البتي، محمد إسحاق. (1999م). نقوش عظمت رفته. لاهور: مكتبة قدوسيه.
14- برق، غلام جيلاني. (1969م). دو إسلام .ط7، لاهور: شيخ غلام علي ايند سنز ببلشرز.
15- برق، غلام جيلاني. (1987م). رسائل إلى مسعود أحمد، ملحقة في آخر كتاب "تفهيم إسلام". مسعود أحمد (بي. إيس. سي.). ط3، (د.ط).
16- برق، غلام جيلاني. (2009م). تاريخ حديث. ط4، لاهور: إداره مطبوعات سليماني.
17- حافظ شاهد محمود. (2011م). مقدمة التحقيق على مقالات المحدث الكوندلوي .ط1، كوجرانوالا: أم القرى للطباعة والنشر.
18- حافظ عبد الرشيد أظهر. (2009م). "دين ميں حديث نبوى كا مقام اور اس كى معجزانه حفاظت" في: دوام حديث. الكوندلوي حافظ محمد. دهلي: فريوائي أكادمي.
19- الرحماني، عبد الله ناصر. (2009م). مقدمة على شرح حديث عرقل. الرحماني عبد الله ناصر، والكوندلوي حافظ محمد. ط1، كوجرانوالا: أم القرى للطباعة والنشر.
20- السلفي، منير أحمد. (1992م). "تقديم" و"ترجمة مختصرة للشيخ الإمام المحدث الحافظ محمد الكوندلوي". في: درس صحيح البخاري. الكوندلوي حافظ محمد. لاهور: اسلامك ببليشنك هاؤس.
21- عبد الرحمن ضياء. (2011م). "محدث مفسر فقيه اصولى امام حافظ محمد كوندلوى كا علمى مقام". ملحق في بداية "مقالات المحدث الكوندلوي". ط1، كوجرانوالا: أم القرى للطباعة والنشر.

22- الفوجياني، محمد عطاء الله حنيف. مجلة "رحيق" الشهرية. عدد ديسمبر 1958م

23- الكوندلوي، حافظ محمد. (1985م). التحقيق الراسخ في أن أحاديث الرفع ليس لها ناسخ. ط2، لاهور: دار الدعوة السلفية.

24- الكوندلوي، حافظ محمد. (1992م). درس صحيح البخاري. جمع وترتيب: السلفي منير أحمد. لاهور: اسلامك ببليشنك هاؤس.

25- الكوندلوي، حافظ محمد. (2009م). دوام حديث. دهلي: فريوائي أكادمي.

26- الكوندلوي، حافظ محمد. (2011م). "سنت خير الأنام در سه وتر بيك سلام"، من الرسائل الست المجموعة في: "مقالات المحدث الكوندلوي". ط1، كوجرانوالا: أم القرى للطباعة والنشر.

27- الكوندلوي، حافظ محمد. (2011م). الإصلاح. تحقيق: مركز التربية الإسلامية تحت إشراف: حافظ محمد شريف. ط2، كوجرانوالا: أم القرى للطباعة والنشر.

28- المحمدي، محمد طيب. (2009م). مقدمة المترجم على "تفهيم القاري ترجمة وتوضيح إرشاد القاري للنورفوري". كوجرانوالا: إدارة التحقيقات السلفية.

29- ناكي، شاهد فاروق. (2012م). تذكره حافظ محمد كوندلوي. لاهور: مكتبه قدوسيه.

30- نعيم الحق نعيم. (2009م). "أستاذ الكل في الكل حضرت حافظ محمد كوندلوي". في: دوام حديث. كوندلوي حافظ محمد. دهلي: فريوائي اكادمي.